

مسجد سيدي علي مبارك بمدينة القليعة (دراسة تاريخية وأثرية)

لطيفة بورابة

جامعة الجزائر2

تتناول هذه الدراسة معلما أثريا من أهم الآثار العثمانية في مدينة القليعة، وهو مسجد سيدي علي مبارك⁽¹⁾، الذي بني خلال القرن السادس عشر، وكان جزءا من الزاوية التي اندثرت، وتحولت أرضيتها إلى مستشفى، بينما المسجد الذي يضم بجانبه ضريح سيدي علي مبارك، ما زال قائما إلى يومنا هذا.

ومن الضروري أن نبدأ هذه الدراسة بإعطاء لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة القليعة، قبل الغوص في التفاصيل التاريخية والأثرية المتعلقة بهذا المسجد.

1 - لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة القليعة:

تقع مدينة القليعة في ولاية تيارازة، وهي تبعد بحوالي 30 كلم غرب مدينة الجزائر، وتمتد فوق هضبة منحدرية من الجهة الجنوبية للساحل، وتمثل جزءا من سهول متيجة الخصبة على ارتفاع يتراوح بين 115م و 130م، وقد وصفها المؤرخون بأنها تقع وسط حدائق غناء من الجهات الأربع، كما تتميز بغزارة مياهها⁽²⁾.

يعود تاريخ بناء هذه المدينة العريقة، إلى فترة حكم البايبرباي الثاني حسن بن خير الدين بربروس⁽³⁾ في النصف الثاني من القرن السادس عشر، ويبدو من خلال المصادر والمراجع التاريخية أن أسس المدينة وضعت بجانب الضريح الذي يرقد فيه الولي سيدي علي مبارك⁽⁴⁾.

أما عن اختيار هذا الموقع فهو يعود -حسب المهندس المعماري بن حموش- إلى أسباب إدارية وعسكرية، وهذا بهدف ربط الاتصال بين هذه المنطقة ومناطق أخرى، ولا سيما الساحلية منها، مثل شرشال، وتنس، كما كانت تهدف السلطة العثمانية من بناء هذه المدينة، إلى إخضاع قبائل شنوة التي كانت تلاحق اللاجئين الأندلسيين⁽⁵⁾، مما يؤكد أن مساعي دار السلطان بالجزائر كانت تهدف إلى السيطرة على المنطقة، وأن كلمة القليعة في اللغة العربية هي تصغير لكلمة القلعة⁽⁶⁾، وتعني القلعة الصغيرة⁽⁷⁾.

2 - تطور مدينة القليعة:

تذكر الوثائق التي بحوزتنا أنّ مدينة القليعة كانت قرية صغيرة⁽⁸⁾، وتطورت عبر الزمن، ويعود الفضل في تطور هذه المدينة إلى عاملين أساسيين:

العامل الأول : توافد عدد كبير من الزوار والمريدين لضريح الولي سيدي علي مبارك، والتبرك به حسب اعتقادهم، ومما لاشك فيه أنّ هذه الزيارات المتعاقبة قد دفعت ببعض إلى الاستقرار بالقرب من الضريح، كما أوقفوا بعض أملاكهم للإنفاق على زاوية ضريح سيدي مبارك بما فيها المسجد، وكان لهذه الزيارات واستقرار بعض الأفراد والعائلات، انعكاس إيجابي على النشاط الاقتصادي في المنطقة.

العامل الثاني : استقرار عدد كبير من الأندلسيين في القليعة، ومزاولتهم للنشاط الزراعي، حيث خصص المؤرخ الإسباني مارمول⁽⁹⁾ فصلا من كتابه سماه خبر المدجنون⁽¹⁰⁾ بمدينة القليعة (De la ville de col des Mudechares)، ذكر فيه: «... أنّ عدد سكانها يزيد عن ثلاثمائة (300) نسمة من مدجار (Mudechares) قشتالة⁽¹¹⁾، ومن الأندلس، ومن ثغور مملكة بلنسية⁽¹²⁾. وأخذ عدد السكان في الازدياد حتى ازدهرت المدينة⁽¹³⁾، لما تتوفر عليه من جمال الموقع، ووفرة محاصيلها الزراعية، لاسيما الحبوب (القمح)، إلى جانب الثروة الحيوانية، ومختلف أنواع الفواكه كما هو الشأن في أوروبا، خاصة الليمون، والبرتقال. ومما زاد سكان القليعة ثراء هو تربيتهم لدودة القز». ⁽¹⁴⁾ ويؤكد ذلك المؤرخ نور الدين عبد القادر، حيث وصف سكان مدينة القليعة بأنهم ماهرون في شؤون الزراعة والبساتين⁽¹⁵⁾.

وأشار المؤرخ مورين (Morin)، أن عدد سكان القليعة لا يتجاوز 1500 نسمة، وكانت معروفة بنشاطات كثيرة، خاصة الفلاحة، ويظهر ذلك من شكل المدينة⁽¹⁶⁾، وقد ساعدهم على النشاط الزراعي توفر المياه بغزارة، وخاصة واد مزفران، مما شجع المورسكيين على حفر الآبار، وإقامة العيون لري البساتين، وتزويد المدينة بالمياه، وأضاف الدكتور ناصر الدين سعيدوني أنّ: «الأعمال الفنية للأندلسيين لم تكن تقتصر على زراعة الخضار والأشجار المثمرة، والري...، بل أدخلوا عدّة صناعات جديدة، وعَمَلُوا على تطوير ما كان موجودا من الحرف، وهذا ما جعل مدينة القليعة تتميز بنشاط حريفي مميز، حيث اشتهرت بإنتاج أنواع رفيعة من الحرير وأصناف جيدة من المخمل...»⁽¹⁷⁾.

من خلال تتبع تاريخ مدينة القليعة انتهت إلى أنّ تطورها يعود إلى أهمية موقعها الجغرافي، الذي جعلها محط أنظار المهاجرين الأندلسيين المهتمين بالنشاطات الزراعية والحرفية.

والجدير بالذكر أن المدينة، تعرضت إلى عدة هزات أرضية، منها الزلزال الذي ضرب المدينة في نهاية القرن الثامن عشر، وقد خرب المدينة بأكملها، ولكن ضريح سيدي مبارك⁽¹⁸⁾ وحده بقي صامدا وسط الخراب، مما جعل سكان المدينة يتعلقون أكثر بهذا الولي الصالح⁽¹⁹⁾.

وبعد انهيار السلطة العثمانية في الجزائر، دخلت الجيوش الفرنسية لأول مرة مدينة القليعة في نوفمبر سنة 1831م، وفرض الجنرال بروسار (Brossard) ضريبة حرب قدرت بـ 1.100.000 فرنك فرنسي، وقد قاوم سكانها الجيش الفرنسي الذي دخلها نهائيا سنة 1839م، بعد أن تهدم جزءا كبيرا من المدينة⁽²⁰⁾.

وما بقي من المعالم الأصيلة للمدينة، خرّبه يد الإدارة الفرنسية، متحججة بالحفاظ على الوضع الصحي للسكان، مما جعل الفنانين من رسامين أمثال ألكسندر جني، والمهندسين المعماريين يتأسفون إلى ما آلت إليه مدينة القليعة، و ضياع جزء هام من آثارها، المتمثلة في أسوارها، والدور ذات الطابق الواحد التي كانت متراسة فيما بينها⁽²¹⁾.

3 - التعريف بسيدي علي مبارك:

اختلفت آراء المؤرخين حول أصول وتاريخ ميلاد هذه الشخصية الدينية، فيذكر نيال (Niel)، أنه من قبيلة الحشم (Hachem)، واستقر بمدينة القليعة، دون تحديد الفترة الزمنية⁽²²⁾.

بينما ذكر محمد حاج صادق أنه ولد سنة 954هـ/1556م، وتوفي عام 1040هـ/1630م، وأنه لا يعرف شيئا عن سلفه، ولا عن حياته بناحية معسكر، وأنه رحل حوالي سنة 1009هـ/1601م، أي في الخامسة والأربعين من عمره، ونزل بجوار القليعة⁽²³⁾، وقال عنه ناصر الدين سعيدوني أنه من أصل أندلسي⁽²⁴⁾.

والراجح أنّ سيدي علي مبارك توفي في القليعة سنة 1040هـ، مخلفا ابنا ذكرا، هو محي الدين المتوفى في آخر ربيع الأول سنة 1058هـ⁽²⁵⁾، وثبت عقود المحاكم الشرعية أنه كان يملك بحيرة (بستان) أوضيعة في قرية القليعة، مؤرخة في أواخر شهر ذي القعدة من سنة 1180هـ، ونستنتج من ذلك أن الملكية بقيت باسم نجل سيدي مبارك بعد وفاته، وهذا مقتطف منها « الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم: الذي يشهد به من سيوضح أسماؤهم فيه عقب تاريخه شاهدين بمضمنة وبمعرفتهم الحاج بن المكرم الحاج أحميدة بن محمد المازوي يعرفونه اسما وعينا وسماعهم منه مشافهة

وبحضورهم له موطننا باع فيه من (كذا) المكرم أحسين بن الصبايح نصف البحيرة التي على ملكه التي يحدها من جهة القبلة مسيل الماء التي يأتي من عين سيدي علي وشرقا بحيرة سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك، وجوفا شجرة الكرم وشجرة لله بل التوت التي في الحد وغربا بحيرة بن محي الدين ، وجوفا شجرة الكرم وشجرة (كذا) بل التوت التي في الحد وغربا بحيرة بن محي الدين بجميع ما للمبيع المذكور (كذا) ومنفعة ومرتفق داخلا فيه وخارجا عنه وما عدا منه ونسب إليه بيعا صحيحا جايزا (كذا) بثمن قدره خمسة شر دينارا ذهب عينا من سكة التاريخ قبض البايع المذكور من المبتاع المسطور جميع العدد المزبور وأبرأ ذمته منه إبراء تاما شاملا وحل فيه محله ونزل فيه منزلته فلما بل فعند إبرام البيع وانعقاده تطوع البائع المذكور للمبتاع المسطور هما أتاها بالثمن فبيعه مردود (كذا) فلما (كذا) كذا تطوع المبتاع المسطور للبائع المذكور وأنه صرف عليه غلة المبيع مدة بقائه في يده بحيث لا مطالب له في غلة البيع المذكور (كذا) لسائلها والكل في حالة الصحة والطوع وجواز الأمر والرضى بتاريخ أواخر شهر الله ذي القعدة الحرام من عام 1180هـ ثمانين ومائة وألف، المكرم الأجل أحسن أحمد المكرم محمد بن الحداد وبه كتب الفقير إلى الله محمد العموري مفتي بالقليعة لطف الله به أمين»⁽²⁶⁾.

4 - جامع سيدي علي مبارك:

حسب الدراسات الأثرية، فإنّ بناء مدينة جديدة في بلدة إسلامية يكون مرفوقا ببناء دار الإمارة والمسجد الجامع، والسوق، وبما أنّ مدينة القليعة بنيت في النصف الثاني من القرن السادس عشر، فإنّ تأسيس الجامع يكون في نفس الفترة الزمنية. يقع جامع سيدي علي مبارك في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، تحده من الجهة الشمالية المباني السكنية، ومن الجهات الأخرى ضريح الولي سيدي علي مبارك والمستشفى (أنظر الخريطة رقم 1⁽²⁷⁾، والصورة رقم 1⁽²⁸⁾، والصورة رقم 2). وقد تعرض الجامع إلى انهيار كلي إثر زلزال ضرب المدينة سنة 1217هـ⁽²⁹⁾، مما أدى إلى تجديده سنة 1218هـ من طرف الداي مصطفى باشا⁽³⁰⁾، ويدل على ذلك الكتابة الأثرية عند مدخل الجامع.

« قد أمر بهذا المسجد بالتجديد وبنائه الرائق المنتشاً

- كان البر لله بالحفظ والرعاية يرجو من الفوز بما شا (ع)

- وتقبل منه هذا العمل فسامح واعفو وأغفر بفضلك عنه لعبدك مصطفى باشا

سنة 1218هـ. (أنظر الصورة رقم 4)

ويذكر شريف الزهار في مذكراته، أنه « في سنة 17 وقعت زلزلة في الجزائر وعمالتها في اليوم الحادي عشر من رجب، وكان يوم أحد، في وسط النهار، تهدمت قرية القليعة، ومات بها خلق كثير، ولما بلغ خبرها للأمير مصطفى باشا رحمه الله، ركب من حينه، وذهب إليها بنفسه، وأمر بإخراج من كان تحت الردم، فمن وجده حيا كساه، وأعطاه نصيب مال بيده...، وأمر بإعادة بناء جامع سيدي علي مبارك حينا، ومنارته، والزاوية: وقال لأهل البلد: أبنى لأهل البلد ديارهم، بعد انتهاء بناء المسجد والزاوية...»⁽³¹⁾.

5 - أوقاف جامع سيدي علي مبارك:

وقد أوقف⁽³²⁾ السكان مجموعة من أملاكهم لصالح جامع سيدي علي مبارك، نذكر منها:

1 - وثيقة متعلقة بحبس السيد محمد الصابونجي، دارا محاذية للفقير السيد محمد المجاوي في قرية القليعة، لنفسه وبعد وفاته يرجع لجامع سيدي علي بن مبارك، والمؤرخة في آخر عاشوراء سنة 1231هـ، هذا نصها: «الحمد لله، بمحضر شهود العدول المرضيون في السر والعلانية التاليين لكلام الله عز وجل وكيل ضريح الشيخ سيدي علي بن مبارك عم الله علينا بركاته الكهل المرض السيد عبد القادر الربع المؤذن (كذا) أشهدهم كبير السن التالي لكلام الله السيد محمد الصابونجي وأنه حبس داره الكاينة في ملكه المعلومة المحاذية للفقير السيد محمد المجاوي في قرية القليعة ابتداء على نفسه وبعد وفاته ترجع إلى جامع سيدي علي بن مبارك وذلك في حال صحته وطوعه وجواز أمره وشرط المحبس إن احتاج إلى البيع ببيع بالعناء كما هو في عرف أهل بلده معتمدا في ذلك على مذهب أبي حنيفة النعمان ونفذت ذلك وأمضته بحيث لا يغير احد فمن يدل أو غير فالله حسيبه وسيعلم الذين ظلموا لي منقلب ينقلبون، الحبس وقع في سالف الزمان والكتب متأخر بتاريخ آخر عاشوراء عام 1231، وأنا الفقير إلى الله محمد بن محمد الهبطي إمام جامع الشيخ علي بن مبارك نفعنا الله به أمين»⁽³³⁾

2 - وثيقة متعلقة بحبس الولية عائشة بنت الولي الصالح سيدي الحبش دار سكنها لنفسها، وبعد وفاتها يرجع لجامع الشيخ الولي الصالح والقطب الناصح سيدي علي بن مبارك المؤرخة بأوائل ربيع الأول سنة 1212هـ، هذا نصها: « الحمد لله أشهدت الولية السيدة عائشة بنت الولي الصالح سيد الحبش رحمه الله ونفعنا بركاته أمين أنها حبست ووقفت لله تعالى جميع دار سكنها أولا على نفسها تتنفع بسكنها مقلدة في ذلك مذهب الإمام النعمان رضي

اللَّهُ عنهم وبعد وفاتها يرجع الحبس على جامع الشيخ الولي الصالح والقطب الناصح سيد علي بن مبارك رضي الله عنه ونفعنا به أمين تصرف غلتها في مصالحه أرادت بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم إن الله لا يضيع أجر المحسنين فمن بدل وغير فالله حسيبه وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون شهد عليها وهي بحال الصحة والطوع وجواز الفعل بتاريخ أول ربيع الأول من سنة إثني عشر ومائتين وألف.

الزكي التقي الفقيه السيد محي الدين فعرها شهد به والعدل الحاج عابد وكيل ضريح الشيخ شهد به مع كاتبه محمد المجاري إمام جامع الشيخ⁽³⁴⁾

وتفيد دراسة تاريخية لهذه الوثائق أنَّ عدَّة أئمة تعاقبوا على المسجد، منهم: محمد بن محمد المجاري، ومحمد الهبطي، كما كان للجامع وكيلًا يقوم بشؤونه هو محمد بن عيسى. وفي الوثيقة التي احتوت على اسم نجل سيدي علي مبارك⁽³⁵⁾، ورد فيها اسم الكاتب محمد العموري بصفته مفتي المدينة، وهذا يدل على أن مدينة القليعة كانت عامرة بالسكان، وشهدت اقتصادًا مكثفًا استدعى وجود مفتي على غرار ما هو موجود في المدن الكبيرة، مثل مدينة الجزائر، والبليدة، وقسنطينة.

وكغيرها من ممتلكات الجزائريين، تعرض الجامع وزاوية سيدي علي مبارك والمرافق المجاورة له، إلى استيلاء الإدارة الفرنسية عليها سنة 1897م، وحولتها إلى مستشفى عسكري، وثبتت الرسالة المؤرخة بتاريخ 26 نوفمبر 1897م، والتي وجهها أحد أحفاد سيدي علي مبارك، وهو محمد لكحل، يطالب فيها السلطات الفرنسية في باريس باستعادة المسجد، وتنازله عن باقي الممتلكات⁽³⁶⁾.

وفي رسالة أخرى تحمل تاريخ 31/12/1897م، وجهها محمد حلوي بن قدور بن أحمد زروق، بن سيدي علي مبارك إلى المكلف بشؤون الأهالي يؤكد فيها أن العائلة لا تملك إلا ملاحق الجامع المتمثلة في الزاوية والضريح⁽³⁷⁾.

6 - وصف مخطط الجامع:

تقدر مساحة الجامع بـ 264م (أنظر المخطط رقم 1)، وهو يحتوي على ثلاثة مداخل مفتوحة مباشرة على بيت الصلاة: المدخل الرئيسي للجامع الذي تتقدمه ظلة يصعد إليها من خلال ثلاث درجات، وترتكز هذه الظلة على أربعة أعمدة حلزونية تحمل عقودا نصف دائرية، وتوجد دكانتان (مقعدين) في الجهة اليمنى واليسرى لهذه الظلة⁽³⁸⁾، إلى جانب مدخلين ثانويين.

بيت الصلاة: يتخذ بيت الصلاة شكلا مربعا، يبلغ طول الضلع الشمالي 15.35م، والضلع الغربي 18م، والضلع الشرقي، 12.40م، والضلع الجنوبي 20.90م، ويرتفع بيت الصلاة بحوالي 5.70م.

دعمت بيت الصلاة بخمس عشرة دعامة تحمل عقودا متجاوزة، إلى جانب سبع دعامات جدارية، ثلاث منها ترتكز على الجدار الشرقي لبيت الصلاة، وأربع منها تتوزع على الجدار الغربي، أما الدعائم الأخرى فهي متعامدة الشكل، تحمل عقودا متجاوزة، منكسرة، ومفلطحة تميل إلى الشكل الحدوي، منها خمسة صفوف متعامدة مع جدار القبلة، شكّلت خمس بلاطات يتراوح اتساعها ما بين 3م إلى 3.10م، أوسعها بلاطة المحراب التي يبلغ اتساعها 3.30م، وخمسة صفوف موازية لجدار القبلة، شكّلت بدورها خمس بلاطات يتراوح اتساعها ما بين 2.50م، و2.70م، أوسعها بلاطة جدار القبلة باتساع 3م، ويبلغ عدد العقود في بيت الصلاة سبعة وثلاثون عقدا⁽³⁹⁾.

أما محراب الجامع فيتوسط الجدار الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة، وهو ذو شكل مضلع سداسي الأضلاع، عرض فتحته حوالي 1.70م، وارتفاعه 2.60م، ويصل عمق تجويفه إلى 1.20م.⁽⁴⁰⁾

منبر الجامع: هو من المنابر المتحركة، يتكون من ثمان درجات، وهو مستحدث، وخصصت له غرفة على يمين المحراب.

مئذنة الجامع: إنّ أهم ما يميز هذا الجامع، مئذنته ذات الشكل المثلث الأضلاع (صورة رقم 3)، حيث تبرز قاعدتها من الزاوية الشمالية الشرقية للجامع، يبلغ ارتفاعها حوالي 23م، وزخرفت بصفوف من العقود الصماء، يبلغ عددها ستة عشر عقدا كبيرا مفصصا، وثلاثون عقدا صغيرا مفصصا، وفي كل ضلع من الأضلاع الثمانية نجد عقدا كبيرا يعلوه عقدين صغيرين.

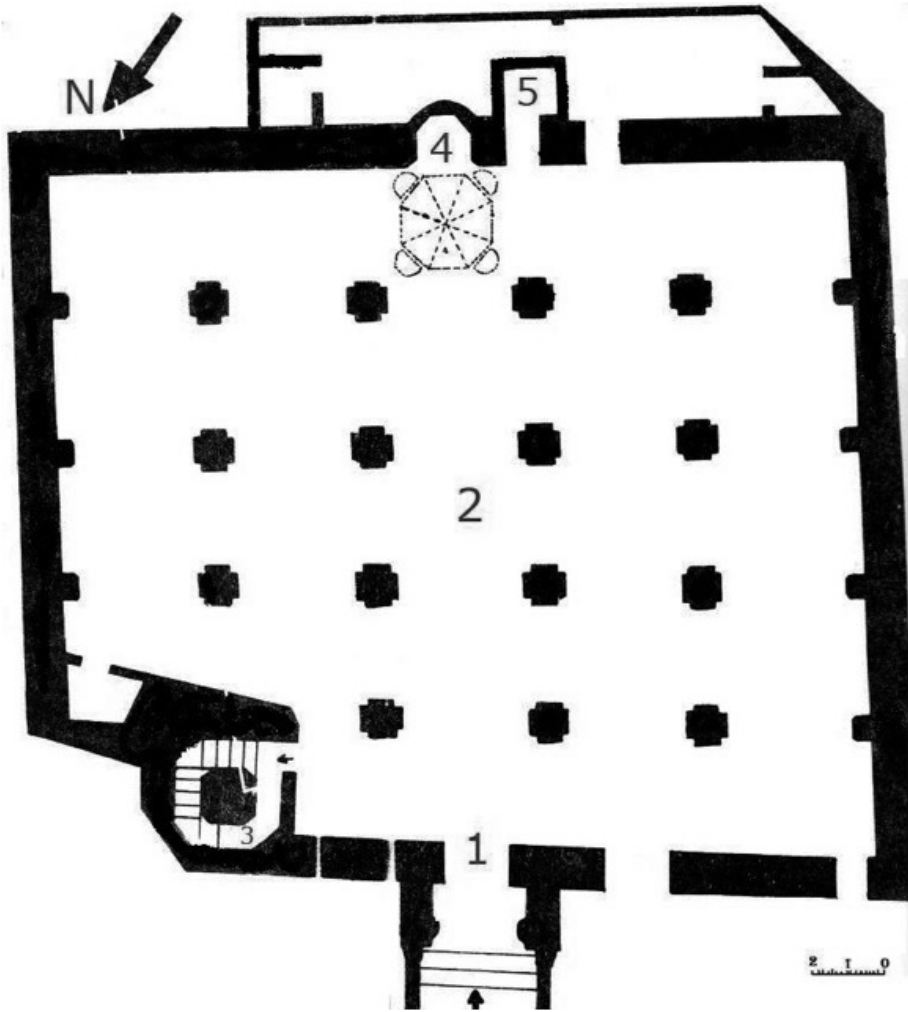
مواد الخام المستخدمة في بناء جامع سيدي علي مبارك: استعملت في بناء هذا الجامع مادة الطابية، أو ما يسمى بالتراب المدكوك (pisé)، وحسب الظاهر أنها متناوبة مع الآجر (briques de terre cuite)، وملاط الجير (de chaux mortier)، وهي نفس تقنية المواد التي استعملت في مدينة شرشال وتيس⁽⁴¹⁾.

خاتمة :

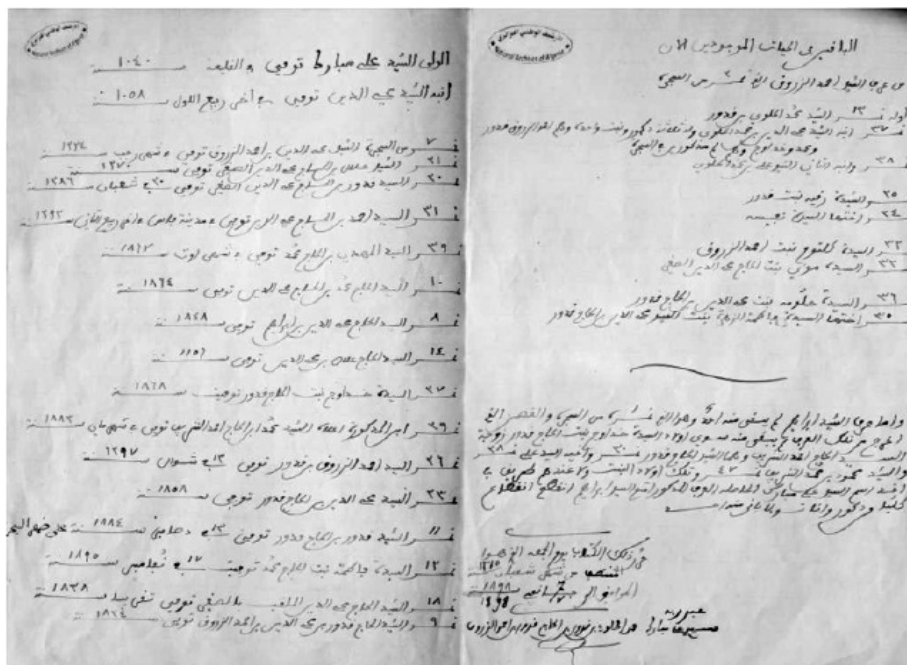
في نهاية هذه الدراسة نستطيع أن نؤكد أن شهرة مدينة القليعة لا تعود إلى موقعها الجغرافي فحسب، ولكن أيضا إلى جامع سيدي علي مبارك الذي مازال قائما إلى يومنا

هذا، وكان سببا في نزول عدد كبير من الأندلسيين، واستقرارهم في القرية التي ما لبثت أن تحولت إلى مدينة عامرة، بفضل الحرف والنشاطات التي كانوا يمارسونها، وقد كان هذا الجامع مهدا للمدينة، وتحول إلى معلم من معالمها، وما زال محتفظا بخصائصه المعمارية والفنية، والمتمثلة في عقودها، ومئذنته الفريدة في شكلها في هذه المدينة.

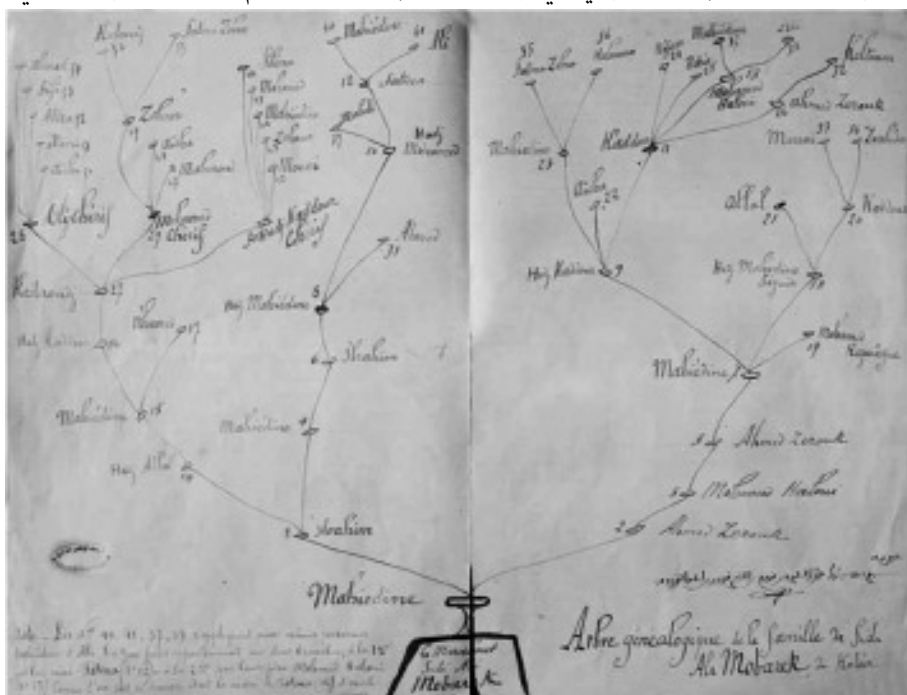
الملاحق:



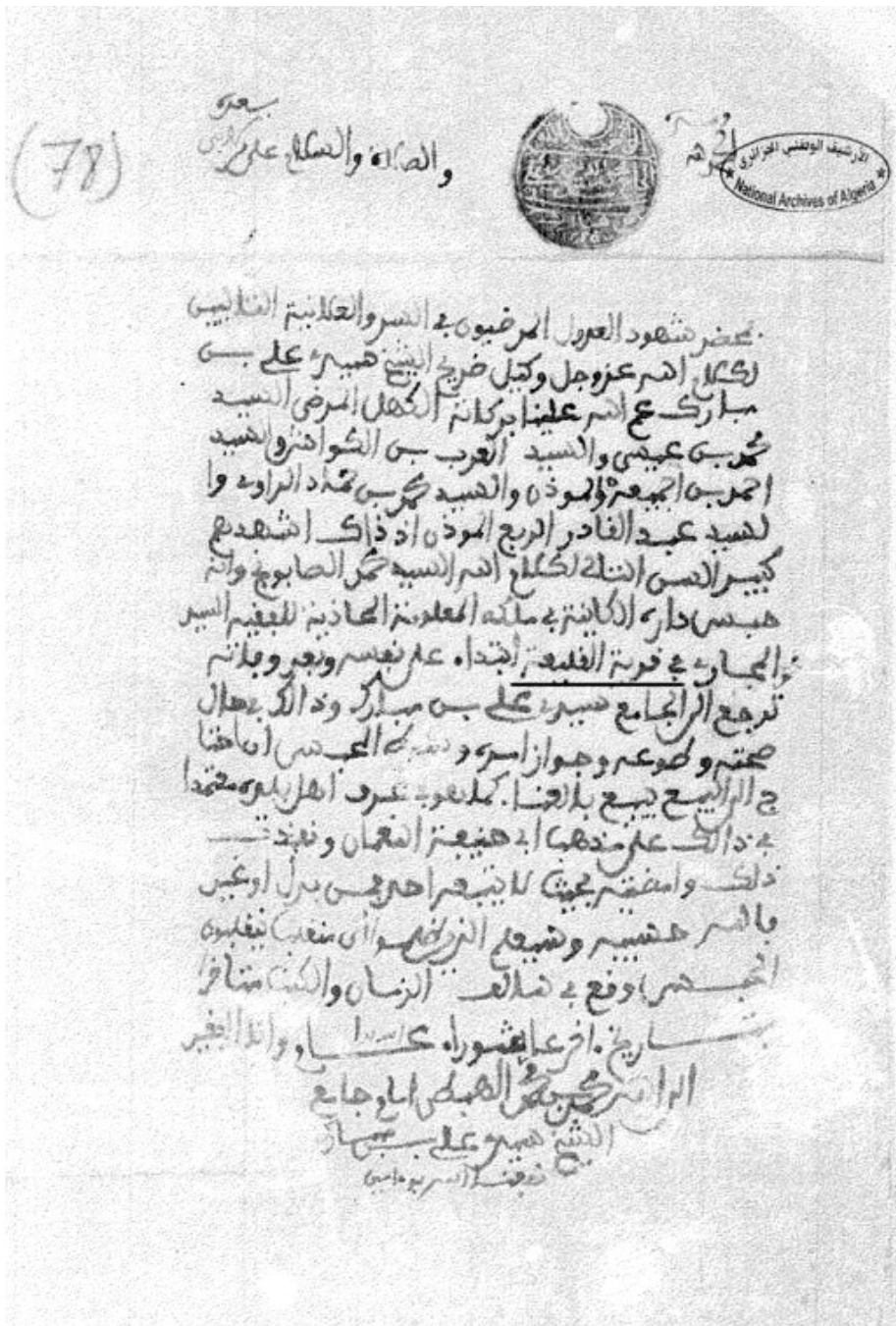
1 - المدخل الرئيسي 2 - بيت الصلاة 3 - قاعدة المئذنة 4 - المحراب
مخطط رقم (1): مخطط جامع سيدي علي مبارك (ع / تيفورة وعمرابي)



الوثيقة 1: شجرة النسب لعائلة سيدي علي مبارك المؤرخة ب 1315هـ/ 1898م المصدر: الأرشيف الوطني



الملحق رقم 2: وثيقة 24: شجرة النسب لعائلة سيدي علي مبارك (باللغة الفرنسية) المصدر: الأرشيف الوطني



الملحق رقم 3: وثيقة متعلقة بحبس السيد محمد الصابونجي، دارا محاذية للقبعة السيد محمد المجاوي في قرية القليعة، لنفسه وبعد وفاته يرجع لجامع سيدي علي بن مبارك، والمؤرخة في آخر عاشوراء سنة 1231هـ. المصدر: المحاكم الشرعية: رقم العلبه 76، رقم الوثيقة 78.

وواله وصحبه وسلم
وواله علي حسين واولاده

الخامس يشهد به من سجد سبع أسماؤهم فيه عفا الله ربحه شاهد
 من لا ضمنه وبيع منهم الحاج بل الكرخ الحاج احمد بن محمد المازوني
 يبيع مائة أسماؤهم وعينا وأسماؤهم منه مشافهة ويغضرونهم له مائة
 باع فيه من مائة أسمة الكرخ احسين بن الحسين نصف البجيراني
 على ملكه التي يجرها من جهة القبلة مسيل الماء التي يات من عين سيب
 عليه وشرقا بجمرات سيب محمدا بن سيب علي بن مبارك وجوفا
 جرة الكرخ وجرة التي بل القوت التي والحد وغربا بجمرات بن محي الدين
 بجميع ما للبيع المذكور من حرو وجو ومنتبع ومرتفع واخلافية
 وخارجية وما عرفت ونسب اليه يسعا حديدا جائزا اجزائه
 بثلث قره خمسة عشر دينار ذهب عينا من سكة الساروخ بفض
 البايع المذكور من المبتاع المسكور بجميع العدة المزبورة وابترا
 دهنه منه ابترا عا ما تشاءا وحل فيه محله ونزل فيه منزله ولبس
 بعنرا نبراهم البيع وان عفا الله كل باع المذكور والمبتاع
 المسكور رهما ابترا التي في بيعه مائة وفيه ومقالا ان
 ان كان كذا في كذا المبتاع المسكور والبايع المذكور وانه
 صرف عليه غلة البيع مائة بقا به يدور بحيث لا يطالب به غلة
 المبتاع طال الزمان او قصر وعلى هذا في رواية شاهد من حضر
 البيع المذكور مسئولة منهم اسماؤهم لكل حالة البعثة والبيع
 وجدوا الامر والرضا بتاروا في شهر الله تعالى القدره التي في
 على ثمانية مائة والى

المعراج
الحج
المعراج
الحج

وكتب اليه في ذلك اليوم من قبل ان يخرج الى مصر

Montpelier, le 12 Janvier 1897

Monsieur le Ministre,

J'ai l'honneur de vous adresser ci-joint
 les documents relatifs à la demande
 de la famille de M. le Colonel de
 la 1^{re} Division d'Infanterie, pour la
 reconnaissance de la nationalité française
 de M. le Colonel de la 1^{re} Division
 d'Infanterie, pour la reconnaissance
 de la nationalité française de M. le Colonel
 de la 1^{re} Division d'Infanterie.

Le 12 Janvier 1897, Monsieur le Ministre, j'ai l'honneur de vous adresser ci-joint les documents relatifs à la demande de la famille de M. le Colonel de la 1^{re} Division d'Infanterie, pour la reconnaissance de la nationalité française de M. le Colonel de la 1^{re} Division d'Infanterie.

En conséquence, j'ai l'honneur de solliciter
 de votre bienveillance l'envoi de ces documents
 à la famille de M. le Colonel de la 1^{re} Division
 d'Infanterie, pour la reconnaissance de la
 nationalité française de M. le Colonel de la 1^{re}
 Division d'Infanterie.

En conséquence, j'ai l'honneur de solliciter
 de votre bienveillance l'envoi de ces documents
 à la famille de M. le Colonel de la 1^{re} Division
 d'Infanterie, pour la reconnaissance de la
 nationalité française de M. le Colonel de la 1^{re}
 Division d'Infanterie.

En conséquence, j'ai l'honneur de solliciter
 de votre bienveillance l'envoi de ces documents
 à la famille de M. le Colonel de la 1^{re} Division
 d'Infanterie, pour la reconnaissance de la
 nationalité française de M. le Colonel de la 1^{re}
 Division d'Infanterie.

الملحق رقم 6: وثيقة رقم 3 (أ.ب): رسالة تحمل تاريخ 31/12/1897م، وجهها محمد حلوي بن قدور بن أحمد زروق، بن سيدي علي مبارك إلى مكلف بشؤون الأهالي يؤكد فيها أن العائلة لا تملك غلا ملاحق المسجد الممتثلة في الزاوية والضريح. المصدر: الأرشيف الوطني.



صورة رقم (1): موقع جامع سيدي علي مبارك سنة 1830 م (عن / ألكسندر جني)



صورة رقم (2): منظر خارجي لجامع سيدي علي مبارك



صورة رقم (3): مئذنة جامع سيدي علي مبارك



صورة رقم (4): كتابة تأسيسية للجامع سيدي علي مبارك

الهوامش:

- 1- ورد اسمه بهذه الصيغة - علي مبارك - في شجرة النسب، وأيضاً في الرسالة التي أرسلتها عائلة مبارك إلى كاتب الدولة لشؤون الحرب في باريس سنة 1897م. أنظر: (وثيقة رقم 1) و (وثيقة رقم 2)، و(وثيقة رقم 3)
- 2- أنظر عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الأدب الجزائرية، قسنطينة، 1965. ص 95، Niel. O : Géographie de l'Algérie, imprimerie de Jdagan, Bône, 1876. p. 124
- 3- تولى حكم الجزائر ثلاث مرات من (1545 م - 1551) و(جوان 1557م إلى سبتمبر 1561م) ومن أكتوبر 1565م إلى 1567م) وتوفي سنة 1570م، أكثر تفاصيل (أنظر: Haedo(F.D), Histoire des rois (أنظر: d'Alger, traduite et annotée par H..D Grammont, Alger, Adolphe Jourdan, 1881, p. 81
- 4- حسب المؤرخ نبال (Niel)، فإنّ الضريح كان موجوداً قبل بناء المدينة، بينما يذكر محمد حاج صادق أنّ سيدي علي مبارك ولد سنة 954هـ / 1556م، وهذا يدل على أنه عاصر الفترة العثمانية، ويذكر نور الدين عبد القادر أنّ سيدي علي مبارك توفي سنة 1030هـ / 1631م، أي أن المدينة سبقت بناء الضريح. لمزيد من التفاصيل، أنظر: عبد القادر نور الدين: المرجع السابق، ص 96؛ ومحمد حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964. ص 135؛ O.Niel, Op,Cit, p. 125
- 5- Ben Hamouche. M, Dar es-sultan, l'Algérois à l'époque ottomane, dar El-Bassair, 2009, 1er edition. p. 229
- 6- قلع، القلع: انتزاع الشيء من أصله، والقلاع: الحجارة والقلاع: صخور عظام متقلعة، والقلاعة: صخرة عظيمة وسط فناء سهل، والقلة: صخرة عظيمة، تتقلع عن الجبل، صعبة المرتقى، قال الأزهري: تهال إذا رأيتها ذاهبة في السماء، والقلة: الحصن الممتنع في جبل، وجمعها قلاع وقلع وقلع، وأقلعوا بهذه البلاد إقلاعا بنوها فجعلوها كالقلة، وقيل القلة بسكون اللام، حصن. أنظر: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين) : لسان العرب، مادة (قلع)، مجلد 8، دارصادر، بيروت، 1968، ص 290 - 294.
- 7 - Trumelet. C: Blida, récits selon la légende. La tradition et l'Histoire, t. II Adolphe Jourdan, Alger, 1887, p. 752
- 8 - وهذا ما أكدته إحدى وثائق المحاكم الشرعية، وهي وثيقة بيع، والمؤرخة في أواخر جمادى الأولى 1226هـ، وهذا نصها: «...أشهد (دواج) من سيذكر عقبه أنه باع جميع بستانه الكاين خارج قرية القليعة.. الممدود قبلة طريق ذراع الرايس وغربا محمد بن سي الغبرين وشرقا محمد بن (كذا) ...»، أنظر: المحاكم الشرعية، علبه 76، وثيقة 37.
- 9- Marmol , l'Afrique,II de la traduction de Nicolas Perrot Sieur d'Abancourt, Paris, M.cc. LXVII. p.399.
- 10 - أطلقت تسمية المدجنين أو (أهل الدجن) على نفر من المسلمين عاشوا بصورة دائمة تحت حكم واحدة من الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد شهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أول ظهور مثل هذه الجماعات المسلمة المحكومة في قشتالة مثلاً، نتيجة لسقوط طليطلة، في أراغون (استسلمت عام 489هـ / 1096م)، وفي نافار (سقطت عام 513هـ / 1119م)، وقد أدى قدوم المرابطين إلى الحد من التقدم المسيحي في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، كما ساعدت فترة حكم الموحدين على استقرار المناطق الحدودية نسبياً، مما قلص من تطور هذه الظاهرة الجديدة لقرن ونصف من الزمن، وفي أواسط القرن الثالث عشر الميلادي، مع ما بلغته جيوش حرب

الاسترداد المسيحية من انتصارات كبيرة، أصبح التدجين صيغة بالغة الرسوخ في النسيج الاجتماعي الإسباني في أواخر العصر الوسيط، وكانت أكبر جماعة من أمثال هؤلاء المسلمين الذين تقبلوا السيادة المسيحية، موجودة في مملكة بلنسية (بعد أن سقطت المدينة بيد جيمس الأول عام 636هـ / 1238م)، إذ احتفظ أفراد تلك الجماعة بلغتهم العربية إلى النهاية، بينما كان المدجنون في جميع المناطق الأخرى قد سارعوا إلى تبني الصيغ المختلفة من لغة الرومانس التي كان يتكلم بها الغالبون المسيحيون، وقد استمر وضع المدجنين على هذه الحال إلى حدود عام 1550م في الأراضي الواقعة تحت حكم قشتالة، وحتى عام 1550م في نافار، وحتى أواسط العقد الثاني من القرن السادس عشر في أقاليم أرغون وبلنسية. للمزيد من التفاصيل، أنظر: ليونارد باريك هارفي؛ «المدجنون». في مجلة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 1، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، صص 286-285.

11 - قشتالة (Castille) إقليم عظيم بالأندلس، قصبته اليوم طليطلة، كانت تسمى قديما بردوليا، ثم قشتالة castilla، وذلك لكثرة الحصون والقلاع التي بها، وهي تمتد شرقا حتى مضاب نافار من ولاية ريوخا جنوبا حتى الأراضي التي سميت فيما بعد أرغون وسوبرابي، ويحدها من جهة الغرب مملكة ليون، وهي إحدى الممالك المسيحية التي نشأت في شمال اسبانيا، على يد الكونت فرنان كوثالت الذي ضم قشتالة تحت لوائه ليجعل منها وحدة سياسية مستقلة، وتم له هذا الأمر في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ويعتبر هذا التاريخ بداية نشوء مملكة قشتالة. أنظر: chalmeta. P, «Kashtela». in encyclopédie de l'Islam, tIV, G.P Maisonneuve et Larouse SA, Leyde. E J, Brille, Paris, 1977, p

- يوسف أحمد بني ياسين؛ بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية (574هـ - 626هـ / 1178-1229م)، دراسة مقارنة، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2004، ط1، ص 433

12 - بلنسية (Valencia)، حاضرة من حواضر شرق الأندلس، بينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي مدينة سهلية، عامرة القطر اشتهرت بأسواقها ونشاطاتها التجارية، وهي على نهر جار ينتفع به، ويسقي المزارع، ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة، والسفن تدخل نهرها، وسورها مبني بالحجر والطواهي، وأهلها خير أهل الأندلس يُسمون عرب الأندلس، بنى بلنسية الرومان سنة 138ق.م، واسكنوا فيها العساكر القدماء، وفي سنة 413م استولى عليها القوط، وفي سنة 714م، صارت بلنسية مدينة إسلامية، بعد أن فتحها طارق بن زياد، واستمرت بلنسية طيلة عهد الإسلام من أعظم مراكز العربية في جزيرة الأندلس، ولم تكن مركز حكومة مستقلة إلا بعد سقوط الخلافة الأموية في سنة 401م، استولى عليها المرابطون في رجب سنة 495م، يولون عليها أمراء من قبلهم إلى أواسط القرن الثاني عشر، ثم استولى عليها الموحدون، فكانت سيادتهم إسمية، وبقيت كذلك إلى أن استولى عليها النصارى في 20 سبتمبر سنة 1228م، وذلك بعد استيلائهم على قرطبة بسنتين. أنظر: شكيب أرسلان، الحلال السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج 3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص 44، 45، 50، 51، 52؛

شهاب الدين الحموي؛ معجم البلدان، مج 1، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1955، ص 490.

13 - يرى المؤرخ مارمول أن استقرار جماعة من الأندلس في القليعة، كَوْن مستعمرة.
14 - Marmol, Op, cit, TII, p.399

15 - عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 96.

16 - نقلا عن: Ben Hamouche.M, Op, Cit, p 229, 230

17 - حمل الأندلسيون معهم العديد من الفنون والصناعات، وكانت لهم مناهج خاصة في دباغة الجلود، وصناعة الحرير والصوف، وأدخلوا العديد من الحرف إلى بلاد المغرب، ووجدوا البيئة الملائمة لتطورها،

وحملوا معهم تنظيماتهم، فقد كانوا منتظمين في طوائف حرفية، كما ساهموا في تطوير بعض تقنيات الري بالغرب، أنظر: محمد رزوق؛ الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، إفريقيا الشرق، 1991، ص ص 266 و 267. ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 52، 5351.

18 - يحده شرقا المسجد المنسوب إليه، وله واجهة رئيسية بالجهة الشمالية، مطلة على ساحة مكشوفة، فتح بها مدخل يعلوه عقد نصف دائري، يغلق بباب خشبي بمصراع واحد، تعلوه فتحة، وعلى يمينه نافذة مسيجة بشباك حديدي، تعلوها ثلاث فتحات، وعمارة الضريح عبارة عن قاعة، تتوسطها قبة متوسطة الحجم، وتعلو قبة الضريح قبة كبيرة، تتشكل من ستة عشرة ضلعا، تقوم على ثمانية مثلثات ركنية، ويطوق عنق القبة شريطين مزدانين بالبلاطات الخزفية.

19- Op, Cit, p.125 O.Niel

20- Ibid, p.1251

21- Op, Cit, p.124 O.Niel

22- Ibid, p. 124

23 لم يشر إلى المصادر التي اعتمد عليها في التعريف بهذه الشخصية، أنظر (محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص 135).

24 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 48

25 - شجرة النسب سيد علي مبارك، هذه الوثيقة مؤرخة في منتصف من شهر شعبان سنة 1315 هـ . الموافق 7 جانفي 1898 م، وتوجد ضمن محفوظات الأرشيف الوطني، (أنظر: الملحق رقم 1، وثيقة رقم 01، والملحق رقم 2، وثيقة رقم 2).

26 - الملحق رقم 4، المحاكم الشرعية، علية 76، وثيقة 127
27 - Carte de Koléa, 1/50.000, centre de lanue et de pastorale 1926.

28 - يعود رسم هذه الصورة إلى أ. جني (Alexandre Genêt)). وكان هذا الرسام من أبرز الفنانين الرسامين العسكريين، وهو ينتمي إلى إحدى فرق الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 م، والتي كان يقودها الجنرال (Pelet)، المشرف على فرقة الرسامين. كلف أ. جني من قبل هيئة قيادة الأركان الفرنسية برسم أهم المعالم التاريخية في الجزائر؛ أنظر: لطيفة بورابة: « تهديم الفرنسيين دار الإمارة (دار الجنيّة) بمدينة الجزائر: دراسة تاريخية أثرية». ضمن أعمال الملتقى الوطني الذي نظمته معهد الآثار، حول دور وأهمية الآثار في كتابة التاريخ الوطني، 16-17 جانفي 2013، ص 3. (مقال تحت الطبع).

29 - أحمد شريف الزهار، مذكرات أحمد شريف نقيب أشراف الجزائر (1246-1168 هـ/ 1754-183 م)، تحقيق، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1980 م، ص 83.

30 - هو مصطفى بن ابراهيم الذي تولى الحكم بعد حسن باشا سنة (1212 هـ - 1220 هـ - 1798 م- 1805 م)، أيام السلطان العثماني سليم الثالث، وذكر شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر في مذكرته عند ذكره لولاية مصطفى باشا الذي كان خزانجا في عهد خاله الداوي حسن باشا مايلى: « ولما توفى حسن باشا، تولى حفيده مصطفى الخزانجا، وكان رجلا صالحا...». أنظر: أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 71.

31 - أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 83

32 - شكل الوقف بنوعيه - الذري والخيري- أحد مظاهر الحياة الاقتصادية والدينية في المدن العربية مثل

الجزائر، حلب، دمشق، بيت المقدس، مصر. فالوقف الخيري يخصص ريعه للأعمال الخيرية من بناء المساجد والمدارس والزوايا والإنفاق عليها، وعلى العاملين والمقيمين فيها، أما الوقف الذري فيخصص ريعه للواقف نفسه، ثم من بعده لأولاده وأولاد أولاده، وذريته ولا سيما الذكور منهم، حتى تنقرض الذرية، ويؤول الوقف بعد ذلك لإحدى الجهات الخيرية من مساجد وزوايا ومدارس، أو للفقراء والمساكين.

33 - الملحق رقم 3، المحاكم الشرعية، علبة 76، وثيقة 78

34 - الملحق رقم 5، المحاكم الشرعية، علبة 76، وثيقة 147

35 - الملحق رقم 4، المحاكم الشرعية، علبة 76، وثيقة 127

36 - رسالة مؤرخة ب 26/11/1897م، توجد ضمن محفوظات الأرشيف الوطني.

37 - ملحق رقم 6، وثيقة رقم 3، (أ) و (ب): رسالة مؤرخة ب 31/12/1897م.

38 - توجد الكتابة التذكارية في الدكانة اليمنى لظلة المدخل الرئيسي للجامع.

39 - جلال (جميلة)، الأعمال المعمارية للداي مصطفى باشا في مدينة الجزائر وضواحيها من خلال وثائق

الأرشيف والمعالم القائمة (1220-1212هـ/1805-1798م) دراسة أثرية ومعمارية، مذكرة تخرج لنيل

شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012، ص 72، 194.

40 - نفسه ص 217-218.

41 - (أنظر؛ -Samira Alliche; La formalisation comme outil d'identification d'un procédé constructif, cas d'étude: le Tabiya (pisé) de Cherchell, memoire de magistère, EPAU.2012, p.108